المبحث السادس

الاناضول في العصر الحجري الحديث

جتـــل هيـــوك :

يقع المستوطن المعروف بجتل هيوك في سهل قونية ويقع الى الشمال من قرية جمرة بنحو احد عشر كيلو مترا . ويضم المستوطن مساحة من الارض تبلغ حوالي ٦٠٠ × ٣٥٠م٢(٢١٧) ولقد نقب الموقع من قبل بعثة بريطانية ولاربعة مواسم عمل . تمكنت البعثة اثناءها من استظهار اربع عشرة طبقة بنائية ولقد استمر استيطان السكان في هذا المستوطن اقل من الف عام : ٦٢٥٠ـ٥٤٠٠ق.م(٢١٨) .

ومن خلال التنقيبات الحديثة التي اجريت في العديد من المواقع التي ثبتت عائديتها الى بدايات العصر الحجري الحديث في مناطق جنوب غرب آسيا وجد ان زمن وجود التجمعات السكانية في جتل هيوك كان يعـــاصر الفترة التي سبقت صناعة الفخار في جرمو اضافة الى فترة صناعته فيما بعد وكذلك تعاصر جماعات مستوطن ام الدباغية وفترات حلف الاولى .

لقد كان اعتماد التجمع السكاني في مستوطن جتل هيوك على الزراعة وعرف اهله مباديء الري البسيطة اضافة الى اعتمادهم التقليدي عـلى الزراعة الديمية وتربية المواشي والتجارة وعرفوا زراعة الحبوب والذرة وانواعا اخرى بعضها يعتمد نموه على الري علما بوقوع المستوطن على حافة نهر(٢١٩) . كذلك كان اعتمادهم على مجموعة كبيرة من الخضر والفواكه ونبات الفستق واللـوز ويبـدو واضحـا اعتماد التجمع السكاني علـى لحوم الحيوانات وخاصة الماشية والخراف بصورة كبيرة جدا ، ويبدو ان الثيران قد لعبت دورا مهما في اقتصاديات السكان اضافة الى تلمس شعورهم الخاص تجاه هذا الحيوان والذي يبدو واضحا من خلال ما تركوه لنا من

Scanned by CamScanner

رسومات عديدة للثور على البعض من جدران بيوت خاصة قد تكون نوعا من المزارات . ويبدو ذلك واضحا في الطبقة الخامسة والثالثة(٢٢٠) . وهناك نماذج أخرى لرؤوس ثيران تبدو بـــارزة بشكل ظاهر وجدت في الطبقة العاشرة .

اعتمدت اقتصاديات السكان في جتل هيوك ايضا على صناعة الفخار الذي عرف منذ اقدم طبقات الموقع وهي الطبقة الثانية عشرة ولقد عرفت هذه الصناعة الالوان والوحدات الزخرفية مما يشير الى ممارسة اقدم لمثل هذه الصناعة قد يعثر على بداياتها في اقسام المستوطن الاخرى غير المكتشفة بعد . والجدير بالملاحظة ان اعمال البعثة ، المنوه عنها سابقا لم تشمل الا على واحد من ثلاثين من مساحة هذا المستوطن الكبير .

لقد عرف اهل هذه القرية صناعة المعدن ووجدت بين مخلفاتهم بقايا من الحلي وعرف مثلا معدن الرصاص في الطبقة التاسعة والنحاس في الثامنة (٢٢١) وعرفوا استخراج الالوان مـــن اللازورد والمالاكايـــت Malacite والدهنج في الطبقة السابعة والسادسة .

ولقد صنعوا المواد اللازمة للبناء ، فعرفوا اللبن والطلاء المستخدم في البنا ءوالاخشاب والقصب هذا اضافة الى تمكنهم من جلب مواد أخرى مهمة من الجبال القريبة وخاصة أنواعا من الحجارة اللازمة للبناء ولصناعة الاسلحة والتماثيل . ويبدو انهم صنعوا موادا أو وسائل نقل ربما كانت من الخشب ونحن على يقين انهم مارسوا عملية تبادل مواد عديدة مثل حجر الزجاج البركاني وغيره مع جماعات أخرى في داخل آسيا الصغرى وخارجها وخاصة مع مناطق تقع في جنوب غرب آسيا .

ونفهم من سعة المدينة وبيوتها التي تقدر بنحو الف دار ان سكانها بلغوا اكثر من خمسة الاف نسمة وكانت لهم تنظيمات اجتماعية وتجارية خاصة بهم ونفهم كذلك اختلاط جماعات هذا المستوطن مع جماعات عديدة أخرى في سهل قونية الـــذي كان صـــالحا للعيش وللاســتقرار والتطور

Scanned by CamScanner

الاقتصادي في ظروف مناخية ملائمة نظرا لتوفر المياه والمواد الاولية اللازمة للمعيشة وللصناعة · ويبدو ذلك واضحا من خلال البقايا الاثرية لموقع جتل هيوك بالذات والذي يبدو وكانه كان المركز الحديث الذي كان يستقطب سكان المستوطنات الاخرى وخاصة تلك التي تقع في نفس سهل قونية .

ويظهر ان جتل هيوك سكنه اكثر من جماعة واحدة · كانت الاولى من سلالة البحر المتوسط القديمة · مخطط دور السكن في مستوطن جتلى هيوك يتميز أولا بكونه مستطيل الشكل ويبدو ان كل دار سكن كان يشغل مساحة تبلغ حوالي ٢٥م٢ · عرفت الوحدات السكنية هذه تقسيما مبكرا لدار السكن حيث تعرف الوحدة الرئيسية في الدار ويضاف اليها في العادة مخزن واحد أو اكثر(٢٢٢) · وواضح ان كل دار من هذه الدور كان محصنا من الناحية المعمارية وذلك لصغر فتحة الدخول الى الدار ثم ان هذه الفتحة لم تكن بمستوى الارضية بل مرتفعة عنها · وعلى الرغم من عدم وجود باب لمثل هذه الفتحة فالاحتمال الواضح ان نوعا معينا من السداد من الداخل كان مستخدما ، وانه كان في الغالب من الخشب · كذلك يعرف مدخل آخر للدار من فتحة علوية كانت تستخدم ايضا للتهوية وللحصول على الضوء اللازم لداخل الدار ·

طريقة التسقيف كانت في الغالب مستوية وكان الخشب والقصب والطين من المواد الاولية الرئيسية المستخدمة في بنائه ·

وتتميز ، حسب رأى المنقب ، بعض الابنية الخاصة والتي لا تختلف في حجومها عن الابنية الاخرى في كونها كانت صوامع ·

ويرصد ميلارت مواقع هذه « الصوامع » بين بيوت السكن الخاصة كذلك يميزها من خلال زينة جدرانها وبعض موجوداتها · علما بأن عادة صبغ جدران البيوت والصوامع كان مألوفا وكان اللون الاحمر باطيافه المتعددة مستخدما في ذلك · ويبدو أن الالوان المستخدمة في صبغ جدران

هذه الوحدات البنائية كانت تجدد بين فترة واخرى · كانت اسس البيوت الجديدة هي بقايا

Scanned by CamScanner

جدران البيوت الاقدم منها وكان الدفن يتم تحت ارضيات بيوت السكن والصوامع أيضا . والمثير ان جثة الميت كانت تعرض في العـــراء ليتم تجريدها من اللحم من قبل العقبان. وبعد ذلك كان يتم لف المتبقي منها بقماش قبل دفنها . وفي معظم الحالات لا يدفن مع المتبقي من الجسم مواد معينة تشير الى امكانية الاستفادة منها فيما بعد ومع ذلك كانت تدفن بعض المفردات الخاصة ومنها الحلي للنساء والاسلحـــة للرجـــال ووجـــدت احيانا بعض الادوات المستخدمة من قبل نساء خاصة وذلك في بعض القبور ومن ذلك مرآة مصنوعة من حجر الزجاج البركاني وحزام مصنوع من العظم وقطع من المعادن ومنها خواتم .

عرف سكان مستوطنة جتل هيوك استخدام الزجاج البركاني الـذي كان متوفرا لديهم وبشكل خاص من منطقة اسكول الواقعـة في وســـط الاناضول . ومن الادوات التي صنعوها من هذه الفترة رؤوس السهام . وعثر على خنجر مصنوع من حجر الصوان في قبر رجل في الطبقة السادسة ويتميز بكون مقبضه مصنوع من العظم وعلى شكل حية محورة قليلا . والمعروف عن استخدام اهالي جتل هيوك لانواع عديدة من الادوات هي في معظمها مصنوعة من الحجر الاوبسيدي وبعد ذلك عرفوا انواعا والوانا من حجر الصوان المستوردة على ما يبدو من مناطق شمال سوريا وعرفو الحجر الرملي ومنه صنعت الواح صغيرة مقطعة استخدمت في خلط الالوان .

الى جانب هذه الادوات المصنوعة من الحجر عرفوا صناعات أخرى كثيرة كانت موادها الاولية عظام الحيوانات والخشب . ومن تلك الادوات الابر والمقاشط المستخدمة لتصنيع الجلود وادوات عديدة مستخدمة كأواني وصناديق وباحجام متنوعة .

وكما اشرنا سابقا فان صناعة الفخار بدأت بشكل متطور اعتبارا من اقدم طبقات الموقع تقريبا وهي الطبقة الثانية عشرة . وعثر على نماذج متنوعة وذات مستويات صناعية مختلفة من ناحية التلوين ودرجات الشوي اضافة الى

Scanned by CamScanner

تعدد الاشكال · فقد عرف الخزافون صناعة الاواني البيضوية والمدورة وزود بعضها بعروات صغيرة مثقوبة يبدو واضحا انها استخدمت لتعليق الانية والبعض الآخر استخدم للطبخ · وتزداد صلابة الاواني بحداثة الطبقات وخاصة في الطبقة الثامنة مما يشير بدون شك الى المزيـــد من الحاجة الى استخدام هذه الاواني في الطبخ مع العلم ان تبدلا كبيرا لم يحدث في اشكالها · وفي الطبقة الرابعة نجد الاواني المبرقشة بالاحمر غزيرة الانتاج · كذلك عرفت زينة بعض الاقداح باشكال رؤوس حيوانية والبعض من الاواني وجد انها محززة وخاصة عند الحافات ·

ووجدت مجموعة من الاختام المنبسطة المحززة باشكال هندســـية ومؤداة بتشكيلات خاصة عرف استخدامها في الطبقة السادسة (ب) من موقع جتل هيوك ·

وفي جتل هيوك اكتشفت مجموعة كبيرة من الدمى صنع البعض منها من الفخار والباقي من الحجارة · وظهرت هذه النماذج اعتبارا من الطبقة التاسعة · حيث وجدت نماذج بشرية وحيوانية وصنعت بعض النماذج من الحصى باشكال نسائية بينها امرأة حامل وقد اكتفى النحات بحزوز بسيطة كانت كافية للتعبير عن تجسيم مقتدر لمواضع عديدة في الجسم · والبعض الآخر من النماذج النسائية تبدو بملابسها وهناك عدد منها مزينة رؤوسها بما يشبه العرقية (العرقجين) والبعض الآخر ملتحفة بجلود النمور ·

واضافة الى نماذج المنحوتات المتطورة الصناعة وما يتوفر فيها من معاني رمزية معروفة عرفت انتاجات فنية أخرى خاصة باستخدام الالوان ·· فاضافة الى اللطوش الملونة المستخدمة في صباغة جدران البيوت والوحدات الخاصة «الصوامع» فقد عرفت وحدات زخرفية عديدة ويقلد بعضها زخارف المنسوجات · كذلك تبدو موضوعات قوامها اشكال بشرية تقوم على ما يبدو باصطياد الحيوانات باسلوب استعراضي وكانه نوع من التجربة في الصيد أو محاولة نظرية له أو يمكن ان يكون نوعا من طقس خاص لتسهيل عملية صيد بعض الحيوانات الضخمة الحجوم ·

Scanned by CamScanner

ان ابداع رسوم موقع جتل هيوك اكتشفت في الطبقة السابعة كاللوحة التي تزين جدار « صومعة » ويبدو الشكل وكانه مخطط ارضي للمستوطنة ويبدو خلف المخطط ما يشبه ثورة بركان(٢٢٣) .

يمك تبة :

يمك تبة هو مستوطن آخر من آسيا الصغرى ويقع الى الغرب من جتل هيوك وفي سهل قونية . وكان في مرسن جون كارستانك قد مهد لاجراء الحفريات اثناء تنقيباته المسبقة في موقع يمك تبة القريب من مرسن(٢٢٤)، التي تقع على حافة النهر والتي تبلغ مساحتها ٢٠٠ × ٢٥٠م٢ وتضم طبقات الموقع الستة الاولى مرحلة العصر الحجري الحديث الاول وهي الطبقات من الثالثة والثلاثين وحتى السابعة والعشرين . اما الطبقات من السادسة والعشرين وحتى الخامسة والعشرين فتعود الى العصر الحجري الحديث المتاخر والطبقات من الرابعة والعشرين وحتى العشرين تعود للعصر الحجري المعدني الاول والعصر الحجري المعدني الثاني تحويه الطبقات من التاسعة عشرة وحتى السابعة عشرة اضافة الى السادسة عشرة ايضا والعصر الحجري المعدني المتاخر تحويه الطبقات الخامسة عشرة (ب) وحتى الثانية عشرة (أ)(٢٢٥) .

ولقد حدد كارستانك تاريخ طبقات المنطقة في بداية الفترة الحثية أيضا(٢٢٦) . وتحدد تاريخ الطبقة ٣١ باختبار كاربون ١٤ الاشعاعي بحوالي ٦٠٠٠ + ٢٥٠ق.م . ، وتعاصر هذه الفترة مستوى معيشة جماعة الطبقة الثامنة من مستوطن جتل هيوك(٢٢٧) . ووجدت في الخندق الاختباري الذي حفر في مرسن والذي يبلغ عمقه تسعة امتار صناعة فخارية متطورة يمكن مقارنتها مع تلك التي اكتشفت في جتل هيوك . هذا اضافة الى استخدام الادوات من حجر الصوان والزجاج البركاني . ويرى البعض من الباحثين وجود علاقة بين جماعات مرسن وانتاجها الحضاري وبين جماعات اخرى سكنت الاقسام الجنوبية الغربية التي شملت مناطق في فلسطين مثل تليلات الغسول ومجدو(٢٢٨) . ويقرب أيضا انتاجها الحضاري مع انتاجات حضارة حلف ومنطقة العمق في شمال سوريا .

Scanned by CamScanner

واستظهرت اسس دور السكني الخاصة في مرسن اعتبارا من الطبقة ٢٥ · وتركزت صناعة الفخار المميز بالوانه الحمراء والصفراء الباهتة بين الطبقات الرابعة والعشرين · وفي الانقاض التي تلت هذه الطبقة بدات فخاريات عصر حلف المتأخر وربما وصلت هذه الصناعة عن طريق التجارة أو أنها قلدت تقليدا محليا في مرسن نفسها · غير ان هذا الانتاج المحلي لم يصل في جودته مستوى جودة فخاريات فترة حلف نفسها ·

واعتقد جون كارستانك بأن القلعة الصغيرة في الطبقة السادسة عشرة بمرسن كانت تمثل قمة استيطان اهل حلف بينما تدل الفخاريات المنتجة على اصل مختلف لهذا الرأي وهذا الرأي يجب البحث عنه في منطقة سهل قونيه بالرغم من انه لا يستطيع اثبات ذلك(٢٢٩) ·

ان تاريخ الطبقة السادسة عشرة بمراحلها الثلاث في مرسن يعود الى فترة : ٤٥٠٠ـ٤٣٠٠/٤٢٠٠ق·م · أي الى فترة اواخر عصر حلف وقبل فترة عصر العبيد المبكر · وتتوفر دلائل على حدوث صلات حضارية مع مستوطني الطبقة الثالثة من موقع رأس شمرا التي تنتهي معالمها الحضارية بحدود ٤١٤٨ + ٨١ق·م(٢٣٠) ·

لقد تم العثور في مرسن أيضا على فخاريات تحتوي على زينة قوامها شرائط ملونة باللون الاحمر عند الحافات كذلك وجدت مجموعات من الصحون التي وجدت مشابهات لها في مواقع أخرى تعود لنفس الفتـــــرة وخاصة من الموقع المعروف بسكجةكوزي وتتميز الاخيرة بكونها ذات قاعدة مستوية ومزينة السطوح بتكوينات هندسية قوامها مثلثات واحيانا اشكال خطوط محززة ومملؤة بعجينة بيضاء اللون · ومن الطبقة ١٧ من موقع مرسن عرفت صناعة للفخار المميز بلونه الاسود المصقول والمزين بخطوط بيضاء· وتحدد بالالف الرابع ق·م · أي من مرحلة حضارة بداية الطبقة السادسة عشرة حيث تعرض المستوطن لهجوم مباغت دمرته نيران جماعة جديدة ·

وتتميز الحضارة الجديدة التي وجدت مخلفاتها في الطبقتين الخامسة

Scanned by CamScanner

عشرة والرابعة عشرة بالبناء المحصن . وفي الطبقة الثانية عشرة ظهرت الفخاريات المتاثرة بصناعة نهاية عصر العبيد ولكن بوضوح ايجاد معالم هذه التاثيرات الحضارية الجديدة من انتشار مظاهر حضارة عصر العبيد في مواقع عديدة اخرى في سهل قونية . وظهرت بين مخلفات الحضارة الجديدة اثار العصر الحجري المعدني .

كوزلوكول :

كذلك نعرف ان مستوطن كوز لوكول بمطنقة طرسوس وهو أيضا من مواقع العصر الحجري الحديث في آسيا الصغرى ويقع هذا الموقع على الحافة الجنوبية من نفس المدينة الحالية . بدأت فيه التنقيبات في السنوات ١٩٣٤ـ١٩٣٩ وفي سنة ١٩٤٧ـ١٩٤٨ (٢٣١) . واظهرت نتائج تلك التنقيبات فخاريات تشبه فخاريات عصر حسونة .

سكجة كوزو :

ونعرف مستوطن سكجة كوزو الذي يرجع ايضا الى العصر الحجري الحديث في آسيا الصغرى والذي يقع على بعد حوالي ثلاثة كيلو مترات من قرية سكجة كوزو المعروفة حاليا بنفس الاسم . كذلك تحدد المنطقة بكونها تقع الى الشمال من مدينة طرسوس بحوالي ١٥٠كم .

وكان أول من نقب في هذا المستوطن هو جون كارستانك وذلك عام ١٩٠٨ـ١٩١١ (٢٣١) . ووجد المنقب ان الطبقات التي ترجع الى العصر الحجري الحديث تمتد تحت الطبقات المعروفة من فترة الحضارة الحثية . وعثر على مجموعات من الفخار الملون بالاسود واللون الرمادي والفخار المدلوك والفخار المزخرف بحزوز مملوءة بالعجينة البيضاء مثل تلك التي اكتشفت في حسونة ومرسن . واظهرت معالم الطبقات الاحدى عشرة المكتشفة خلال مجس ضخم في الموقع فخاريات احدث تعاصر وتشبه الفخاريات المعروفة من آسيا الصغرى ولا سيما من الموقع المعروف بتل كوبا Coba Huyuk (٢٣٣) .

مواقع اخرى :

تعتبر الفترة المحصورة بين ٢٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ق.م . الفترة

Scanned by CamScanner

المتفق عليها بين العديد من الباحثين على اساس انها تمثل بدايات ما يعرف بالعصر البرونزي في المناطق الجنوبية الغربية من الاناضول وترتبط مثل هذه الفترة مع وجود أولى الجماعات الحثية وتتوضح الطبقات السكنية في موقعي علي شار والاكا • ان اكتشاف معالم هذه الفترة من مناطق وسط آسيا الصغرى اوضحت في الغالب توصل التجمعات السكانية فيها الى هذه المرحلة المتطورة من استخدام معدن البرونز على نطاق واسع نسبيا ومن قبل هذه الجماعات المحلية • وقد وجد ان الانتاج الفخاري في هذه المناطق يتشابه وبشكل خاص في اشكاله ووحداته الزخرفية(٢٣٤) •

وتتوضح بعض هذه الوحدات الزخرفية المنفذة على الفخاريات واحيانا على قطع من البرونز كانت تستخدم في الطقوس الدينية ، في مراكز حضارية أخرى ومن أزمان الحثيين الاولى(٢٣٥) •

- ان التنقيبات الاولى التي جرت في عام ١٩٣٥ كشفت عن نتائج قيمة فاقت خزائن بريام التي بحث فيها شليمان ووضعت تاريخ الاناضول في الالف الثالث قبل الميلاد في مقدمة المبحث التاريخي •

ان الاكتشافات الاولى اثارت في بداية التنقيبات دهشة عظيمة •

وقام ر•و• ارك و حميد كوسيه المسؤولين عن التنقيبات بفتح القبور وكان أول عمل لهما اكتشاف قبر على عمق ستة امتار ووجدت آلات وادوات من العظام ومن المعادن الثمينة • كما وجدت تماثيل صغيرة لها علاقة بالطقوس والمراسيم ولكن الفنان ادخل اسلوبا جديدا بتصوير الجدار بشكل مفصل • ان وضع الذراعين مثلا يطابق وضعا مماثلا ظهر مؤخرا في الاشكال المتطورة من تماثيل الرصاص التي تعود للقرن الثامن عشر في كول تبة وعليشار وبو غازكوى(٢٣٦) •

ان الفخار الملون الذي يظهر بشكل فجائي في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد يمكن تقسيمه الى ثلاث مجموعات • النوع الاول يعرف جيدا باسم الفخار الكبدوكي أو فخار الطبقة الثالثة في عليشار ويعتبر طرازا خاصا

Scanned by CamScanner

من الزخارف الهندسية . والنوع الثاني يرتبط بشكل مباشر في كول تبة وقد تطور من النوع الاول وهو منقوش بصورة عامة بالخطوط والطيور والنوع الثالث اكتشف مبدئيا في عليشار ثم في بولاتلي وقد سماه اوستن بفخار المرحلة المتوسطة .

وهناك مجموعة من الاختام ومنها نماذج وجدت في عليشار لها شكل مخروطي وفيها ثقوب ومحاجر ومقابض ذات ثقوب للتعليق . وقد وجدت مجموعة مماثلة من حيث الطراز لهذه الاختام(٢٣٧) .

ووجدت كسور فخارية تعود لفخار عليشار الملون وقد نفذت نقوشها في نحت بارز ولونت ومن المحتمل انها تعود لعصر المملكة الحثية القديمة . ان اجمل مثال لهذا النوع هو الاناء من موقع بيتك Bitik وكذلك الكسور الفخارية التي اكتشفت حديثا في بوغاز كوى وهي تعود لبداية عصر الامبراطورية(٢٣٨) .

Scanned by CamScanner